ليلة النصف من شعبان

بقلم فضيلة الشيخ : محمود شلتوت رحمه الله

هذه مقالة(١) قيمة لفضيلة الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق فى شأن ليلة النصف من شهر شعبان رأينا ألا نحرم منها القارىء الكريم فى هذا الشهر • وهى تبين بوضوح ما صح عن رسول الله ﷺ فى هذا الشهر وتكشف له ما يفعله أسرى الخرافات وأدعياء العلم فى ليلة النصف من شعبان ، من أعمال كلها زيف واثم • فاعرف أيها المسلم من هذه المقالة شيئا عن دينك الحق وكن على بصيرة من أمرك • هدانا الله واياك الى ما يحب ويرضى •

« التوحيد »

قال تعالى (انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين • فيها يفرق كل أمر حكيم • أمرا من عندنا انا كنا مرسلين • رحمة من ربك انه هو السميع العليم) •

هذه احدى آيات ثلاث جاءت فى القرآن تتحدث عن انزاله ، وعن الزمن الذى أنزل فيه •

والآية الثانية هى قوله تعالى : (انا أنزلناه فى ليلة القدر) والآية الثالثة قوله تعالى : (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن) •

وهذه الآيات الثلاث تأكيد بأن القرآن لم يكن ــ كما كان يزعم منكرو الرسالة ــ من صنع محمد ﷺ ، وانما هو من عند الله أنزله بعلمه وحكمته هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان • وقد وصفت الآية الأولى الليلة التى أنزل فيها بأنها (ليلة مباركة) وهى الصفة التى وصف بها القرآن فى قوله تعالى : (وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق

---

(١) نقلا عن كتاب (الفتاوى) للشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق ــ رحمه الله .

الذى بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها) وسميت فى الآية الثانية (بليلة القدر) وهو الشرف وعلو المكانة ، وبينت الآية الثالثة أن شهر تلك الليلة هو شهر رمضان الذى فرض الله على المؤمنين صومه تذكيرا بنعمة انزال القرآن وشكرا لله عليها .

الروايات والآراء

ومع وضوح الاتساق بين الآيات الثلاث هكذا وتساندها وشد بعضها أزر بعض فى تقرير أن القرآن أنزله الله على الناس فى ليلة مباركة ذات قدر وشرف ، وأن رمضان هو شهر تلك الليلة مع وضوح هذا نرى الروايات والآراء خلقت فى كتب التفسير حول هذه الآيات جوا اصطرعت فيه اصطراعا أثار على الناظرين فى القرآن غبارا طمس عليهم محورها الذى تدور عليه ، وباعدت بينها فى الهدف الذى ترمى اليه ، وكان من ذلك ما قيل وذاع بين الناس أن (الليلة المباركة) فى الآية الأولى هى : (ليلة النصف من شعبان) ، وأن الأمور الحكيمة التى تفرق فيها هى الأرزاق والأعمار وسائر الأحداث الكونية التى يقدرها الله ثم يظهر ما يقع منها فى العام للمنفذين من الملائكة الكرام !. ويمتد الكلام الى التفرقة بين التقدير الذى يحصل فى تلك الليلة ، والتقدير الذى يروى أيضا عن ليلة القدر ، ثم الى الفرق بين كل من هذين التقديرين اللذين يحصلان على هاتين الليلتين (ليلة النصف ، وليلة القدر) وبين التقدير الأزلى لهذه الأحداث .. يمتد الكلام فى الفرق بين هذه التقديرات الثلاثة بما اعتقد ويعتقد كل مؤمن أنه خوض فى محجوب وهجوم على غيوب استأثر الله بعلمها ، ولم يرد بها نص قاطع من قبله .

الناس فى ليلة النصف

وكان منه أيضا اعتقاد العامة وأشباههم أن ليلة النصف من شعبان ليلة ذات مكانة خاصة عند الله ، وأن الاجتماع لاحيائها بالذكر والعبادة والدعاء والقرآن مشروع ومطلوب . وتبع ذلك أن وضع لهم فى احيائها نظام خاص يجتمعون فى المسجد عقب صلاة المغرب ويصلون صلاة

خاصة باسم (صلاة النصف من شعبان) ، ثم يقرءون بصوت مرتفع سورة معينة هي « سورة يس » ثم يبتهلون كذلك بدعاء يعرف « بدعاء النصف من شعبان » يتلقنه بعضهم من بعض ويحفظونه على خلل فى التلقين ، وفساد فى المعنى ، ويكررونه ثلاث مرات : احداها « بنية طول العمر » والثانية « بنية دفع البلاء » والثالثة « بنية الاغناء عن الناس » ويعتقد العامة أن فى التخلف عن المشاركة فى هذا الاجتماع نذيرا «بقصر العمر » و « كثرة البلاء » و « الحاجة الى الناس » وينتهز بعض تجار الكتب ليلة النصف فرصة يطبعون فيها سورة يس مع الدعاء ، ويكلفون الصبية توزيعها فى الطرقات والمركبات والمجتمعات منادين على سلعتهم « سورة يس ودعاؤها بخمسة مليم(١) » .

دعاء نصف شعبان

فاذا كنت ممن لم يوفقوا الى قراءة هذا الدعاء أو سماعه فاعلم أنهم يطلبون فيه من الله محو ما كتبه فى أم الكتاب من « الشقاوة وتبديله سعادة » و « الحرمان وتبديله عطاء » و « الاقتار وتبديله غنى » ويذكرون فى تبرير هذا الطلب وحيثياته أن الله قال فى كتابه « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » وهو تحريف واضح للكلم عن مواضعه . فان هذه الآية سيقت لتقرير أن الله ينسخ من أحكام الشرائع السابقة ما لا يتفق واستعداد الأمم اللاحقة(٢) . وان الأصول التى تحتاجها الانسانية العامة كالتوحيد والبعث والرسالة وتحريم الفواحش

---

(١) سورة يس معروفة . أما دعاؤها فهو (اللهم ياذا المن ولا يمن عليه ، ياذا الجلال والانعام ، لا اله الا انت ظهر اللاجئين ، وجار المستجيرين ، وأمان الخائفين . اللهم ان كنت كتبتنى عندك فى أم الكتاب شقيا أو محروما أو مطرودا أو مقترا على فى الرزق فامح اللهم بفضلك شقاوتى وحرمانى وطردى واقتار رزقى ، واثبتنى عندك فى أم الكتاب سعيدا مرزوقا موفقا للخيرات ، فانك قلت وقولك الحق فى كتابك المنزل على لسان نبيك المرسل « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب .. الخ » .

(٢) اى يمحو من شريعة موسى ما يشاء ، ويثبت فى شريعة عيسى ما يشاء ، وكذلك يمحو من شريعة عيسى ما يشاء ، ويثبت فى شريعة محمد ما يشاء .. وهكذا حسب ما تقتضيه سنة الله فى تغيير أحوال البشرية وتطورها ينسخ الله منها ما يستحق نسخه ويلزم محوه . وثبت ما تقتضيه حكمته ، ويقتضيه عدله .

دائمة ثابتة وهى « أم الكتاب » الالهى الذى لا تغيير فيه ولا تبديل . واذن فلا علاقة لآية المحو والاثبات بالأحداث الكونية حتى تحشر فى الدعاء ، وتذكر حيثية للرجاء .

شهر شعبان

والذى صح عن النبى «ﷺ» وحفظت روايته عن أصحابه ، وتلقاه أهل العلم والتمحيص بالقبول انما هو فقط شهر شعبان كله ، لا فرق بين ليلة وليلة . وقد طلب فيه على وجه عام الاكثار من العبادة وعمل الخير ، وطلب فيه الاكثار من الصوم على وجه خاص ، تدريبا للنفس على الصوم ، واعدادا لاستقبال رمضان حتى لا يفجأ الناس فيه بتغيير مألوفهم ، فيشق عليهم .

وقد سئل النبى « ﷺ » (أى الصوم أفضل بعد رمضان ؟ فقال : شعبان لتعظيم رمضان) .

وتعظيم رمضان انما يكون بحسن استقباله والاطمئنان اليه بالتدرب عليه وعدم التبرم به . أما خصوص ليلة النصف والاجتماع لاحيائها وصلاتها ودعائها فانه لم يرد فيها شىء صحيح عن النبى ﷺ ، ولم يعرفها أحد من أهل الصدر الأول .

رأى الشيخ محمد عبده

ويجدر بى أن أسوق هنا ما كتبه الشيخ الامام عن « الليلة المباركة » فى تفسيره « جزء عم » قال أجزل الله ثوابه : « أما ما يقوله الكثير من الناس من أن « الليلة المباركة » التى يفرق فيها كل أمر حكيم هى ليلة النصف من شعبان ، وأن الأمور التى تفرق فيها هى الأرزاق والأعمار ، وكذلك ما يقولونه من مثل ذلك فى ليلة القدر فهو من الجرأة على الكلام فى الغيب بغير حجة قاطعة . وليس من الجائز لنا أن نعتقد بشىء من ذلك ما لم يرد به خبر متوتر عن المعصوم ﷺ . ومثل ذلك لم يرد لاضطرابات الروايات ، وضعف أغلبها ، وكذب الكثير منها ، ومثلها لا يصح الأخذ به فى باب العقائد ، فانه لا يجوز أن يدخل فى

البقية صفحة (٥٣)

عقائد الدين لعدم تواتر خبره عن النبى ﷺ • ولا يجوز لنا الأخذ بالظن فى عقيدة مثل هذه• والا كنا من الذين «ان يتبعون الا الظن» نعوذ بالله•

وقد وقع المسلمون فى هذه المصيبة : مصيبة الخلط بين ما يصح الاعتقاد به من غيب الله ويعد من عقائد الدين ، وبين ما يظن به للعمل على فضيلة من الفضائل ، فاحذر أن تقع فيه مثلهم » •

يحذرنا الأستاذ الامام أن ننزل فى عقائدنا على حكم الظن لا ينبع منه اليقين • وان الظن لا يغنى من الحق شيئا • وان الاعتقاد بالظن قول على الله بغير علم صنو الاثم والبغى عند الله •

وقد كان هذا هو منهج الامام فى العقائد ، ومنهجه فى تفسير كتاب الله ، سير فى المحجة الواضحة ، واعتقاد بالحجة القاطعة ، وبعد بكتاب الله عن الظنون والأوهام • ورحمة الله على الامام والسلام على من اتبع الهدى •

محمود شلتوت

أسباب البدع ومضارها

لفضيلة الشيخ محمود شلتوت - رحمه الله

شيخ الأزهر الأسبق

روى عن النبى ﷺ كثير من الأحاديث الصحيحة تدور كلها حول التحذير من الابتداع، ومن أشهر تلك الأحاديث: «من أحدث فى ديننا ما ليس منه فهو رد» وترجع البدعة فى واقعها إلى اختراع عبادة لم تكن معروفة عن النبى ﷺ ولم يرد بها نقل صحيح ولا تدل عليها أدلة شرعية معتبرة، فهى أولا خاصة بما يتعبد به. وإذن فلا ابتداع فى العادات ولا فى الصناعات ولا فى وسائل الحياة العامة.

إن الإبتداع فى الدين له أسباب توقع فيه، ومضار تترتب عليه، وشأن العاقل إذا عرف مضاراً لخطة ما، أن يجتهد فى إبعاد نفسه عنها، ويجعل بينه وبين الوقوع فى أسبابها المفضية إليها وقاية تعصمه من الوقوع فيها، وينعقد لذلك فصلان: أحدهما فى بيان الأسباب التى توقع فى الإبتداع وفى انتشار البدع، والآخر فى بيان المضار التى تترتب على الإبتداع والعمل بالبدعة.

الفصل الأول

فى أسباب الابتداع

لابد لكل شريعة يراد لها البقاء كاملة، لا يعتريها نقص، سليمة لا يلحقها تحريف، من أن تعنى بمعرفة النوافذ التى يتسرب منها الخلل إلى الشرائع فتسدها وتحكم غلقها، وبخاصة إذا كانت هذه الشريعة قد جاءت على أساس من العموم لتنظيم شعوباً تختلف ألسنتها، وتتباين عاداتها، وتتعدد دياناتها التى كانت عليها من قبل.

وهكذا فعل النبى ﷺ فى شريعته المطهرة، فقدر وهو فى أول مراحله، عليه الصلاة والسلام، المداخل التى يمكن أن ينفذ منها الخلل إليها وينتشر، فنهى عنها وحذر منها وبالغ فى النكير على من حَامَ حولها.

وقد رأينا بعد الإستقراء، أن المداخل الموقعة فى البدعة، منها ما يوقع فى ابتداعها، ومنها ما يوقع فى العمل بها وانتشارها، وأن الشريعة عنيت بالأمرين وأشارت إلى أسباب كل منهما، ووضعت لهذه الأسباب العلاج الذى لو أحسن استعماله لسلم الدين ونجت الأمة منها. وظل الدين نقيًا سليما كما شرعه الله، وكما بلغه رسوله، ودرج عليه الأصحاب من بعده.

يرجع الابتداع إلى أسباب ثلاثة:

(أ) الجهل بمصادر الأحكام وبوسائل فهمها من مصادرها.

(ب) مسابقة الهوى فى الأحكام.

(جـ) تحسين الظن بالعقل فى الشرعيات.

الجهل بمصادر الأحكام وبوسائل فهمها: مصادر الأحكام الشرعية كتاب الله، وسنة الرسول، وما ألحق بهما من الإجماع والقياس، والأصل فى هذه المصادر التى يحكم على سائرها هو كتاب الله، وتليه السنة، ثم الإجماع، ثم القياس. والقياس لا يرجه إليه فى أحكام العبادات؛ لأن من أركانه أن يكون الحكم فى الأصل معلولا بمعنى يوجد فى غيره، ومبنى العبادة على التعبد المحض والابتلاء الخالص. ومداخل الخلل الناشئة من هذه الجهة، ترجع إلى الجهل بالسُّنة، وإلى الجهل بمحل القياس، وإلى الجهل بأساليب اللغة العربية، وإلى الجهل بمرتبة القياس.

أما الجهل بالسنة: فيشمل الجهل بالأحاديث الصحيحة، والجهل بمكان السنة من التشريع، وقد يترتب على الأول إهدار الأحكام التى صحت بها أحاديث. كما يترتب على الثانى إهدار الأحاديث الصحيحة وعدم الأخذ بها. وإحلال بدع مكانها لا يشهد لها أصل من التشريع، وقد نبه على ذلك حديث «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من صدور الناس، ولكن يقبض العلم

بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتنوا وأضلوا» وجاء فيه أيضا حديث «ما من نبى بعثه الله فى أمته قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون سنته ويقتدون بأمره، ثم تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون، ويفعلون مالا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»

وأما الجهل بمحل القياس فى التشريع، فقد نشأ عنه أيضا أن قاس الناس من متأخرى الفقهاء فى العبادات وأثبتوا به فى الدين ما لم ترد به سنة ولا عمل، مع توفر الحاجة إلى عمله وعدم المانع منه، ومن ذلك إسقاط الصلاة، فإن أصحابها قاسوها على فدية الصوم التى ورد النص بها، ولم يقفوا عند هذا الحكم بالجواز، بل توسعوا فشرعوا لها من الحيل ما يجعلها صورة لا روح فيها ولا أثر لها.

والابتداع هنا من أغرب أنواع الابتداع، فهو ابتداع لأصل الحكم واحتيال لإسقاط تكاليف الحكم المبتدع، ثم اعتبار الأمرين البدعة والاحتيال فى إسقاطها من الدين - ويجدر بنا تسميته بالبدعة المركبة - يخرجان من عهدة التكليف، ويترتب عليهما ثواب الله الذى أعده للذين آمنوا وعملوا الصالحات. وهذا نوع خاص من البدعة.

وأما الجهل بأساليب اللغة العربية، فقد نشأ عنه أن فهمت بعض النصوص على غير وجهها، وكان ذلك سببًا فى إحداث ما لا يعرفه الأولون ومن ذلك قول بعض الناس إن حديث «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على» يطلب الصلاة على النبى من المؤذن عقب الأذان، ولم يطلب منه أن تكون بغير كيفية الأذان، وهى الجهر، فدل على مشروعيتها بالكيفية المعروفة ! ووجهوا دلالة الحديث على طلبها من المؤذن بأن الخطاب فى قوله ص لجميع المسلمين، والمؤذن داخل فيهم، أو بأن قوله (إذا سمعتم) يتناوله لأنه يسمع نفسه، وكلا التأويلين جهل بأساليب اللغة فى مثل هذا؛ فصدر الحديث لم يتناول المؤذن قطعًا، وآخره جاء على أوله فلا يتناوله أيضًا. ومن ذلك أيضًا ما يزعمه آخر من أن المحرم من الخنزير لحمه دون شحمه؛ لأن القرآن إنما

حرم اللحم دون الشحم، وهو ابتداع نشأ من الجهل بأن كلمة "اللحم" فى اللغة العربية تطلق على الشحم ولا عكس. ومنه أيضًا قول بعض المتكلمين إن لله (جنبا) بدليل قوله تعالى: «أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله» وهو ابتداع نشأ من الجهل بأن العرب لا تعرف "الجنب" فى مثل هذا التركيب بمعنى العضو المعروف فهى تقول: هذا يصغر فى جنب ذاك، تريد بالإضافة إليه. قال الإمام الرازى فى تفسيره: القائلون بإثبات الأعضاء لله تعالى استدلوا على إثبات الجنب بهذه الآية. واعلم أن دلائلنا على نفى الأعضاء قد كثرت فلا فائدة فى الإعادة: وبعد أن ساق المأثور عند المتقدمين عن المراد بالجنب قال: واعلم أن الإكثار من هذه العبارات لا يفيد شرح الصدور وشفاء العليل فنقول: الجنب سمى جنبا لأنه من جوانب الشىء، والشىء الذى يكون من لوازم الشىء وتوابعه يكون كأنه جانب من جوانبه، فلما حصلت هذه المشابهة من الجنب الذى هو العضو، وبين ما يكون لازما للشىء وتابعًا له صح الإطلاق، ولا جرم فى إطلاق لفظ الجنب على الحق والأمر بالطاعة. قال الشاعر:

إما تتقين الله فى جنب وامق ∴ له كبد حرى عليك تقطع

هذه جملة من الأمثلة يتضح بها كيف يأتى الابتداع من جهة الجهل باللغة العربية: مفرداتها وأساليبها، وقد أجمع الأولون على أن معرفة ما يتوقف عليه فهم الكتاب والسنة من خصائص اللغة العربية شرط أساسى فى جواز الاجتهاد ومعالجة النصوص الشرعية والاقتراب منها.

وأما الجهل بمرتبة القياس فى مصاد التشريع وهى التأخر عن السنة، فقد ترتب عليه أن قاس قوم مع وجود سنة ثابتة وأبوا أن يرجعوا إليها فوقعوا فى البدعة. والمتتبع لآراء الفقهاء يجد أمثلة كثيرة لهذا النوع، وأقربها ما قاله البعض من قياس المؤذن على المستمع فى الصلاة على النبى عليه الصلاة والسلام عقب الأذان مع وجود السنة التركية التى قد علمت حكمها وأنها مقدمة على القياس، مع أن حديث «إذا سمعتم المؤذن» يدل بأسلوبه على اختصاص المستمعين بالصلاة عقب الأذان.

يتبع إن شاء الله.

محمود شلتوت

أسباب البدع ومضارها

لفضيلة الشيخ محمود شلتوت - رحمه الله
شيخ الأزهر الأسبق

- ٢ -

متابعة الهوى فى الأحكام: قد يكون الناظر فى الأدلة ممن تملكهم الأهواء، فتدفعه إلى تقرير الحكم الذى يحقق غرضه ثم يأخذ فى تلمس الدليل الذى يعتمد عليه ويجادل به، وهذا فى الواقع يجعل الهوى أصلا تحمل الأدلة عليه ويحكم به على الأدلة، وهو قلب لقضية التشريع، وإفساد لغرض الشارع من نصب الأدلة. ومتابعة الهوى أصل الزيغ عن صراط الله المستقيم «ومن أضلّ ممن اتبع هواه بغير هدى من الله» وقد جاء فى الصحيح (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به) والابتداع به يكثر عند أرباب المطامع فى خدمة الملوك والحصول على غرض الدنيا وحطامها، ولعل أكثر الحيل التى نراها منسوبة إلى الدين - والدين منها برىء - يرجع إلى هذا. ولا يبعد أن يكون منه الأذان السلطانى ونحوه من البدع التى لم نرها إلا فى صلاة الملوك والسلاطين، وكذلك بدعة المحمل، وبدعة الاجتماع لإحياء بعض الليالى وغير ذلك مما يغلب أن يكون رغبة لملك أو مشورة لمقرب إليه، ثم توارثتها الأجيال، وعمت الجماهير وصارت عندهم دينًا ينكرون على من أنكره.

والمبتدعون بمتابعة الهوى ينتسبون بهذه الخطة السيئة إلى أولئك الذين قال الله فيهم: «ولا تشتروا بآيات الله ثمنا قليلا وإياى فاتقون». «إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنًا قليلا أولئك ما يأكلون فى

بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم. أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصْبَرَهُم على النار. ذلك بأن الله نزّل الكتاب بالحق، وإن الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد».

والواقع أنه بمتابعة الهوى تكتسح الأديان ويقتل كل خير، والابتداع به أشد أنواع الابتداع إثما عند الله، وأعظم جرمًا على الحق. فكم حرف الهوى من شرائع وبدل من ديانات، وأوقع الإنسان فى ضلال مبين.

تحسين الظن بالعقل فى الشرعيات: إن الله جعل للعقول حدًا تنتهى فى الإدراك إليه، ولم يجعل لها سبيلا إلى إدراك كل شىء، فمن الأشياء مالا يصل العقل إليه بحال. ومنها ما يصل إلى ظاهر منه دون اكتناه. وهى مع هذا القصور الذاتى لا تكاد تتفق فى فهم الحقائق التى أمكن لها إدراكها، فإن قوى الإدراك ووسائله تختلف عند النظار اختلافا كثيرًا، ولهذا كان لابد فيما لا سبيل للعقول إلى إدراكه، وفيما تختلف فيه الأنظار، من الرجوع إلى مخبر صادق يضطر العقل أمام معجزته إلى تصديقه، وليس ذلك سوى الرسول المؤيد من عند الله العليم بكل شىء، الخبير بما خلق، وعلى هذا الأصل بعث الله رسله يبينون للناس ما يرضى خالقهم، ويضمن سعادتهم ويجعل لهم حظًا وافرًا فى خيرى الدنيا والآخرة.

وقد شذ عن هذا الأصل قوم رفعوا العقل عن مستواه الذى حدده الله، وجعلوه حجة الله على عباده، وحكموه فيما لا يدركه مما أنزل الله، فرجعوا فى التشريع إليه وأنكروا فى النقل كل مالم يعهد فى إدراكه، ثم توسعوا فى ذلك وجعلوه أصلا فى التشريع الإلهى، واستباحوا بعقولهم فيه مالم يأذن به الله، ومالا نعلم أنه يرضى الله أو يغضبه، ولقد أعانهم على الابتداع فى العبادات أنهم نظروا فيما أدركه العلماء من أسرار التشريع وحكمه، وزعموا أن هذه الأسرار هى المقصودة لله فى تشريع الحكم، وأنها داعية إليه، فشرعوا عبادات على مقتضى هذه الأسرار فى بعض تشريع الله.

وهذا هو الاستحسان الذى ذمه أصحاب الرسول وأئمة الهدى والدين، وأنكروا على الآخذين به. ومن ذلك قول الشافعى: « الاستحسان تلذذ، ولوجاز الاستحسان فى الدين لجاز ذلك لأهل العقول من غير أهل العلم، ولجاز أن يشرع فى الدين فى كل باب وأن يخرج كل أحد لنفسه شرعًا » وقوله «ومن استحسن فقد شرع» ومعناه كما قال الريانى «إنه نصب من جهة نفسه شرعًا غير الشرع» وقد وقع كثير من الابتداع بهذا الطريق، فبحكم العقل القاصر رد كثير من الأمور الغيبية التى صحت بها الأحاديث كالصراط والميزان وحشر الأجساد والنعيم والعذاب الجسمى ورؤية البارى وما إلى ذلك مما لم يدركه العقل ولا ينهض على إدراكه.

وباستحسان العقل القاصر تُرك العمل بكثير من الأحكام الشرعية جزيًا وراء أن غيرها أقوى منها فى تحصيل الغرض المقصود من التكليف، وباستحسان العقل القاصر زيدت عبادات وكيفيات ما كان يعرفها أشد الناس حرصًا على التقرب من الله.

هذا وكما يترتب الابتداع بتحسين الظن على عدم إدراك العقل أو على ظن أن الأسرار مسوغات للتشريع وداعية إليه، يترتب أيضا على إرادة دفع منكر أو مخالفة لشرع ثابت فتستحسن بدعة يشتغل الناس بها عن مقارفة المنكر بزعم أن البدعة بمشروعية أصلها أولى من ارتكاب المنكر الصريح، ومن ذلك قراءة القرآن بصوت مرتفع فى المسجد، وقراءة الأدعية كذلك أمام الجنائز دفعًا كما يقولون لتحدث الناس بكلام الدنيا فى المسجد والجنائز.

ومنه الابتداع بقصد الحصول على زيادة المثوبة عند الله؛ ويظن أن طريق هذا تحميل النفس مشقة فى جنس ما يتعبد به الله. وهذا تارة يكون بإلحاق غير المشروع بالمشروع؛ لأنه يزيد فى المقصود من التشريع، ومن أمثلة ذلك التعبد بترك السحور لأنه يضاعف قهر النفس المقصود من مشروعية الصوم، والتعبد بتحريم الزينة المباحة التى لم يحرمها الله لأنه يزيد فى الحكمة

المقصودة من تحريم الذهب والحرير. ومن هذا النوع اختيار أشد الأمرين على النفس عند تعارض الروايات، مع أن المأثور عنه ﷺ أنه ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما. وحمل جميع أفعال النبى ﷺ على التعبد الذى يجب فيه التأسّى مع أن كثيراً منها عادى لا تعبد فيه ولا يطلب فيه التأسّى. وتارة يكون باختيار عبادات شاقة لم يأمر بها الشارع كدوام الصيام والقيام والتبتل وترك التزوج، والتزام السنن والآداب كالتزام الواجبات، وقد جاء تحذير عن ذلك كله كما فى قوله عليه السلام: «ما بال قوم يتنزهون عن الشىء أصنعه، فوالله إنى لأعلمهم بالله وأشدهم خشية له» وقوله عليه السلام «لن يشاد الدين أحد إلا غلبه» وقوله «لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم» وقد رد النبى ﷺ على ابن عمر والرهط الذين تقللوا عبادته ﷺ وأرادوا مشاق الطاعات.

وقد غفل قوم عن هذه التحذيرات واخترعوا لأنفسهم عبادات أو كيفيات فى العبادات أو التزامات خاصة، وعبدوا بها وعلموها لأتباعهم على أنها دين، ودين قوى، وجهلوا أن القرب من الله إنما يكون بالتزام تشريع الله وأحكامه، وأن وسائل التقرب إليه محصورة فيما شرعه وبلغه عنه رسوله الأمين، فوقعوا بذلك فى البدعة والمخالفة وحرموا ثواب العمل وكانوا من الآثمين.

هذه الأسباب التى أوردناها هنا للابتداع، قد أحاط بأطرافها وجمع أصولها حديث: «يحمل هذا العلم فى كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالبين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين» فتحريف الغالين يشير إلى التعصب والتشدد، وانتحال المبطلين يشير إلى تحسين الظن بالعقل فى الشرعيات ومتابعة الهوى، وتأويل الجاهلين يشير إلى الجهل بمصادر الأحكام وبأساليب فهمها من مصادرها.

يتبع إن شاء الله

محمود شلتوت

أسباب البدع ومضارها

بقلم: فضيلة الشيخ محمود شلتوت - رحمه الله

شيخ الأزهر الأسبق

- ٣ -

الاسباب المفضية إلى ذيوع البدعة: يرجع ذيوع البدعة وانتشارها بين الناس إلى أمرين شديدى الخطر على سلامة الأديان من التحريف والزيادة والنقص:

أولهما - اعتقاد العصمة فى غير المعصوم. والآخر - التهاون فى بيان الشريعة على الوجه الذى به نقلت عن الرسول ﷺ.

وكثيرا ما ترى الأول فيمن ينتسبون إلى طرق التصوف وأنهم يقرأون عن شيخ طريقتهم شيئا من الأحوال التى تنافى الأحكام الشرعية فيعتقدون أنها من التشريع الذى خص الله به عباده المقربين، وأن شيخهم لا يفعل إلا حقا، ولا يقول إلا صدقا، والفقه للعموم وهذه طريقة الخصوص، فيتبعونه فى كل ما يؤثر عنه من قول أو فعل على أنه الطريق المقرب إلى الله الموصل إلى رضاه.

وتراه أيضا فى أتباع الفقهاء يقرأون عنهم فى كتبهم، ويعتقدون عصمتهم من الزلل، فيتمسكون بكل آرائهم وإن وصلتهم الرواية الصحيحة عن رسول الله بخلاف رأى أئمتهم، وقد أفرط الناس فى رفع مستوى العلماء ومؤلفى الكتب بالنسبة إلى ما خلفوه من آراء وأحكام، واعتقد كل فريق أن رأى متبوعه هو الحق، وقالوا: إنه لو كان الدين غيره لما استقر على توالى

العصور، ولأنكره من قبلنا من الشيوخ والأئمة، وأنه لا حق لنا فى التمسك بالحديث يروى بخلاف رأى الأئمة والمدون فى الكتب، لأنهم أعلم منا بالحديث وبمعناه، فلا شأن لنا به ولا يصح أن نعدل إليه ونترك ما ألفناه من العبادة وكيفيتها.

سرى ذلك فى عقائد الناس فعملوا بالبدعة وتركوا السنة، مبررين أعمالهم بكلمة مأثورة وضعها أرباب الابتداع لتكون سبيلا إلى ترويج بدعهم وهى «من قلد عالما لقى الله سالما» وقد فات هؤلاء أن التقليد المباح المطلوب، شرطه الاستشراف إلى الحق، والرجوع إليه ببينة وأنه ما من إمام إلا حذر من الاتباع وترك الحديث إذا صح، وفاتهم أن هذه الطريقة قد أنكرها الله فى كتابه الكريم على من جعل اتباع الآباء والأسلاف أصلا فى الدين يرجع إليه دون سواه، حتى ردوا برهان الرسالة وحجة القرآن بقولهم: «إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون» وفاتهم أيضا أن التعصب لرأى العلماء إلى هذا الحد نوع من اتخاذ غير اللهّ ربا. وكان ذلك سنة أتباع الأحبار والرهبان «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله» وفاتهم أن الإجماع الذى عد مصدرا من مصادر التشريع يجب اتباعه. ويتصل بهذا أيضا الخطأ فى فهم معنى الإجماع الذى عد من مصادر التشريع الإسلامى، فقد يقع فى أفهام كثير من الناس أن عمل الجمهور وبخاصة إذا اتفق توارثه عن أجيال سابقة، وعم العمل به جميع الطبقات فى المساجد والمجتمعات وأندية العلماء، من إجماع الأمة التى ورد أنها لا تجتمع على ضلالة فلا يجوز مخالفته ولو ظهر ما يخالفه، ومن هنا يشتد تمسكهم بالبدع بل بالمحرمات بحجة أنها أشياء مأثورة وقد رآها العلماء وخالطوا أهلها ولم ينكروها، فدل على أنها الشرع وغيرها الضلال المبين. وقد انتشر عن هذا الطريق كثير من بدع المساجد والموالد، وإحياء الليالى، والاستئجار على

الختمات والتهاليل والتسابيح إلى غير ذلك مما هو معروف بأنه دين والدين منه برىء.

أما الثانى وهو تهاون العلماء فى بيان الشريعة فإثمه على العلماء الذين أخذ الله عليهم العهد والميثاق أن يبينوا للناس مانزل إليهم، وقد أهمل جمهور العلماء من زمن بعيد هذا الواجب الدينى العظيم الذى يتوقف عليه بقاء الشريعة سليمة نقية من الأدران - أهملوه - إما ضعفا وخوفا من تألب العامة وغضب الخاصة، وإما مجاملة للعظماء والحكام، وإما تهاونا بأصل الواجب وجريا على قاعدة «دع الخلق للخالق» التى يبررون بها إحجامهم عن البيان، وإما تواكلا، نظرا إلى أن البيان واجب كفائى قيام البعض به يسقط وجوبه عن الباقين.

ولما سكت العلماء وألف الناس منهم ذلك السكوت عن كل ما يفعلون، ظن العامة أن ما يفعلونه دينٌ وشرع، وربما جاراهم بحكم الإلف والعادة العلماء فيما يفعلون وبذلك صار ردهم عما ألفوا من البدع إلى ما تركوا من السنة شاقا على من يحاوله؛ لأنهم يرونه إحداثا جديدا فى الدين لم يعرفوه، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ولقد كان للعلماء من تحذير الله، ترك البيان وإهمال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ما يدفع بهم إلى مكافحة البدع كلما ذر قرنها، والعمل على حفظ السنة كلما هبت عليها ريح عاصف، ونرجو أن يكون من هذا ما ينبهنا إلى واجبنا وينقذنا من هول ما نحن فيه. هدانا الله إلى صراطه المستقيم.

يتبع ان شاء الله

محمود شلتوت

أسباب البدع ومضارها

بقلم: فضيلة الشيخ محمود شلتوت – رحمه الله

شيخ الأزهر الأسبق

– ٤ –

مضار الابتداع

لو أن مضار الابتداع تقف عند المبتدع ولا تتعداه إلى غيره لهان الأمر وسهل الخطب، ولكن مضار الابتداع منها ما يصيب المبتدع ومنها ما يصيبه ويصيب أتباعه فى العمل بالبدعة، ومنها ما يصيب الدين نفسه ومنها ما يصيب الأمة التى وقع الابتداع فى دينها.

أما ما يصيب المبتدع فهو اغتصاب حق التشريع الذى لا يكون إلا لله وحده. وذلك أن المبتدع يرى أن الناس مكلفون ببدعة، ولذلك يقوم بالدعوة إليها والحث عليها. وهو من هذه الناحية يضع نفسه موضع المشرع الذى يتعبد الناس بأمره ونهيه، وهذا بعينه اغتصاب حق التشريع الذى لا يكون إلا لله. قصده المبتدع أم لم يقصده.

وقد وقع فيه مشركو العرب كما وقع فيه الأحبار والرهبان من أهل الكتاب ونعى القرآن الكريم على الفريقين مسلكهم، وقص علينا شيئا مما شرعه المشركون بغير حق، قال تعالى فى سورة الأنعام "وقالوا هذه أنعام وحرث حِجْر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم، وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون. وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا، وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفَهُم أنه حكيم عليم". وقال تعالى فى سورة النحل: «ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب. إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون».

وقد ورد فى تفسير قوله تعالى: «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله» أنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا يحلون ويحرمون، وهذه الربوبية هى ربوبية التشريع التى تتحقق باغتصاب حق التحليل والتحريم.

ولاشك أن مسلك المبتدع فى تحليل ما يحل وتحريم ما يحرم من غير سند شرعى، وفى دعوة الناس إلى بدعته هو بعينه مسلك هؤلاء الذين اغتصبوا لأنفسهم حق التشريع الذى لا يكون إلا لله.

ولهذا كان المبتدع فى هذه الناحية واضعا نفسه موضع المغتصب لحق التشريع الذى لا يكون إلا لله، وواضعا نفسه موضع من يرى أن الحدود التى رسمها الله ليتقرب بها العباد إليه، إما ناقصة وهو بابتداعه يستدرك ذلك النقص، وإما أن محمداً ﷺ خان الرسالة لأن الله يقول: «اليوم أكملت لكم دينكم» فما لم يكن يومئذ دينا فلا يكون اليوم دينا. وجاء فى كتاب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن أرطأة "عليك بالسنة فإن السنة إنما سنها من قد عرف ما فى خلافها من الخطأ والزلل والحمق، فارض لنفسك بما رضى به القوم لأنفسهم فإنهم على علم وتقوى".

فإذا كان المبتدع يرى أن ابتداعه لم يكن إلا لخير الناس فى دينهم، فما أجدره بالحزن العميق على نفسه بموقفه من البدعة التى عرف الشارع ما فيها من خطأ وزلل وحمق.

وإذا كان الابتداع يتضمن هذا الوضع السيىء من هاتين الناحيتين «اغتصاب حق الله فى التشريع، والوقوف من التشريع موقف من يعتقد فيه النقص وعدم التمام، فإنه من جهة ثالثة يوقع الناس فى اعتقاد أن ما ليس من الدين دين، وهو من التلبيس الذى أضل به كثير من أهل الكتاب وصرفوا به كثيرا من الناس عن طريق الهدى والرشاد: «يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون» «ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير. ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق. ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد».

ومن هنا كان المبتدع ضالا عليه وزر عمله، ومُضِلا عليه أوزار الذين اتبعوه فى بدعته قال تعالى: «ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم» وفى الصحيحين (ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها)

وقد أشار إلى ذلك الحديث: (وما من نفس تقتل ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها لأنه أول من سن القتل) وفيه دلالة واضحة على أن من سن ما لا يرضاه الله ورسوله فهو كابن آدم الأول فى تحمل قتل النفس التى تقتل ظلما، لأن الإثم لم يتعلق بالقتل لخصوص كونه قتلا، وإنما لأنه عمل ما لا يرضاه الله وسن سنة لا يقرها الدين، وإذا غاب عن المبتدع شىء من هذه المضار التى تحوم حول العقيدة وتوشك أن تمسها، فإنه لا يغيب عنه أنه بابتداعه يعمل على إماتة السنن، فقد ثبت أن من السنة ترك البدعة فلا يمكن إقامة أحدهما مع العمل بالأخرى، وقد جاء عن حذيفة رضى الله عنه أنه أخذ حجرين فوضع أحدهما على الآخر ثم قال لأصحابه هل ترون ما بين هذين الحجرين من النور ؟ قالوا يا أبا عبد الله، ما نرى بينهما إلا قليلا، قال: والذى نفسى بيده لتظهرن البدع حتى لا يرى من الحق إلا قدر ما بين هذين الحجرين من النور. وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: ما يأتى على الناس من عام إلا أحدثوا فيه بدعة وأماتوا فيه سنة حتى تحيا البدع وتموت السنن.

وبهذه المعانى التى تلزم الابتداع فى الدين صحت الأحاديث فى رد عمل المبتدع عليه وحرمانه من الثواب. وقد ورد عن يحيى بن يحيى أنه ذكر الأعراف وأهله فتوجع واسترجع ثم قال: قوم أرادوا وجها من الخير فلم يصيبوه، فقيل يا أبا محمد أفيرجى لهم مع ذلك لسعيهم ثواب ؟ فقال ليس فى خلاف السنة ثواب.

والوجه فيه ظاهر، فإن التقرب إلى الله لا ينال إلا بفعل ما شرع الله وعلى الوجه الذى شرعه أما ما لم يشرعه من وسائل التقرب إليه فإنه لا يثيب عليه.

وصحت الأحاديث أيضا فى استحقاقه اللعنة وحرمانه من شفاعة الرسول ﷺ «من أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» قال الشاطبى فى الاعتصام: «وقد اشترك صاحب البدعة فى اللعنة مع من كفر بعد إيمانه، وقد شهد أن بعثة النبى ﷺ لاشك فيها وجاءه الهدى من الله والبيان الشافى وذلك قوله تعالى: (كيف يهدى الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق – إلى قوله – أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ... الخ».

واشترك أيضا مع من كتم ما أنزل الله وبينه فى كتابه وذلك فى قوله تعالى: «إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ... الخ».

فتأملوا المعنى الذى أشرك المبتدع فيه مع هاتين الفرقتين. وذلك مضادة الشارع فيما شرع، لأن الله أنزل الكتاب وشرع الشرائع وبين الطريق للسالكين على غاية ما يمكن من البيان، فضادها الكافر بأن جحدها جحداً، وضادها كاتمها بنفس الكتمان، لأن الشارع يبين ويظهر، وهذا يكتم ويخفى، وضادها المبتدع بأن وضع الوسيلة لترك ما بين وإخفاء ما ظهر.

أما ما يصيب أتباع المبتدع فهو الحرمان من الثواب، لأنهم يعبدون الله بالبدع التى لم يقرها دينا ولم يجعلها طريقا للعبادة، ولأنهم يتركون بكل بدعة يعملونها سنة من السنن التى جاء بها الرسول وحث عليها، ولهم بذلك كفل من العمل فى هدم الدين عليه يجازون وبه يعاقبون، وقد حكى الله لنا شيئا من عاقبة الأتباع الذين أخذوا بأباطيل المبتدعين، وألقوا بأنفسهم فى أحضانهم. وقد كان ميسورا لهم أن يعرفوا الحق من أهله وأن يرجعوا إليه، قال تعالى فى سورة البقرة: «وقال الذين اتَّبَعُوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار» وقال فى سورة الأحزاب: «يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا. وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا. ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا».

أما ما يصيب الدين نفسه من الابتداع فهو خفاء كثير من أحكامه وتشويه جماله.

والأول سبب من أسباب اندراس الشرائع، والثانى سبب من أسباب الإعراض عنها وعدم احترامها. ويتجلى هذا فى بدع أهل الطرق وغيرها مما يصور الدين تصويرا يأباه ما للدين من جمال وجلال، وكثيرا ما تنشر البدع وتأخذ مكانة الدين فى النفوس وتصبح هى الدين المتبع عند الناس، وبقدر ذيوعها يكون اندراس الدين، وهذا هو الطريق الذى اندرست به الشرائع السابقة وانحرف عنها

المتدينون، ولهذا نعى القرآن الكريم على من حرفوا الكلم عن مواضعه وأخفوا كثيرا من الأحكام.

أما ما يصيب الأمة التى دخلت البدع فى دينها فهو إلقاء العداوة والبغضاء بين أهل الإسلام، وذلك أن صاحب البدعة ينتصر لبدعته والسنة لابد لها من طائفة تبينها وتقوم عليها، وبذلك تنقسم الأمة على نفسها وتصبح شيعا وأحزابا، وقد يشتد الخصام بين الفرق فيقع بينهم التكفير واستحلال الدماء وتنقلب الأمة يضرب بعضها رقاب بعض، قالت عائشة: ألا إن نبيكم قد برئ ممن فرق دينه واحترب، وتلت قوله تعالى: «إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون».

وقد جاء فى الوصايا العشر بآخر سورة الأنعام قوله تعالى: «وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون».

وروى أحمد والنسائى أن رسول الله ﷺ خط خطا بيده ثم قال هذا سبيل الله مستقيما، ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال وهذه السبل ليس فيها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله».

وقال تعالى: «ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات».

وقد عنى القران كثيرا بتحذير الأمة من التفرق والاختلاف لأنه الداء الوبيل الذى يسرع بالفناء إلى الأمم.

وبعد: فهذا موجز القول فى بيان الأضرار المترتبة على الابتداع، نرجو أن يجد فيها المبتدعون ما يردعهم عن خطة الابتداع، ويدفع بهم إلى تعرف السنن والتمسك بها.

هدانا الله إلى صراطه المستقيم.

محمود شلتوت

لحضرة صاحب الفضيلة
الأستاذ الشيخ محمود شلتوت
عضو جماعة كبار العلماء وشيخ الأزهر (سابقاً)

اصطفاء واختيار.. الأشهر الحرم

لله في كل شيء من خلقه اصطفاء واختيار ، وله في كل شيء اصطفاه تشريع وأحكام ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾ ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ، وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِيناً ﴾ .

نعم : خلق الله واختار مما خلق ، ووضع أحكاماً لما اختار ، وليس لمؤمن ولا مؤمنة أن يغير اختيار الله واصطفاءه ، ولا أن يعدل أو يبدل شيئاً من أحكامه ، ولا أن يخترع ما لم يأذن به الله ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللهُ ﴾ .

خلق الله الناس ، واصطفى منهم لقيادة الخلق من شاء ، ويصطفي منهم إلى يوم القيامة من يشاء : اصطفى العلماء ، واصطفى القواد والمصلحين ، ثم اصطفى الأنبياء والمرسلين ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَآئِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾ ﴿ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى العَالَمِين ﴾ ﴿ يا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي ﴾ ﴿ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ .

﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ ؟ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُم فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَات ﴾ .

هذا اصطفاء الأنبياء والمرسلين وهو أعظم أنواع الاصطفاء وقد أوجب لذلك احترامهم والإيمان بهم ، وجعل طاعتهم من طاعته ، وعصيانهم من عصيانه ، كما جعل الوقوف عند بيانهم وإرشادهم من أصول التدين المقبول ، من خالفهم في البيان ، أو زاد فيما جاءوا به ، أو نقص عنه فقد تعدى وظلم .

وخلق الله الأمكنة وفضل بعضها على بعض :

جعل منها مهابط الوحي ، ومنها منابت الذكرى ، ومنها مثابة التقديس والعبادة ، وخص من ذلك المسجد الحرام ، والمسجد النبوي والمسجد الأقصى ، وجعل أولها أفضلها ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ . فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ، وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً ، وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ .

فضله بجملة من وجوه التفضيل لم تجتمع لغيره من أماكن العبادة والتقديس ، فجعل زيارته ركناً من أركان الدين ، وطلب الطواف به ، وجعله ركناً من أركان الحج ، ولم يشرع الطواف لشيء سواه ، وصار معلوماً بيناً من الدين أنه لا يجوز الطواف حول مسجد أو بيت سوى الكعبة ، فالطواف حول الأضرحة ومقاصير الأولياء وأعمدة بعض المساجد ، والصاري الذي ينصب في الموالد ابتداع في الدين ، وشيء لم يأذن به الله ، ومنه الطواف في الدائرة التي ترسم للمحمل فيطوف بها جمل المحمل سبع مرات ، وهي المعروفة بالدورات السبع ، وقد اقترحت مضاهاة لطواف الحجاج ببيت الله الحرام ، وقد نص الفقهاء على أن التشبه بالواقفين بعرفات في مكان غير عرفات مخترع في الدين ، وقالوا : إن الوقوف إنما عهد عبادة بمكان مخصوص فلا يجوز فعله في غيره ، كما لا يجوز الطواف في غير الكعبة .

وكما خص بيته الحرام بالطواف ، وخص عرفات بالوقوف ، وحرمهما في غيرهما : خصه بتقبيل بعض أجزائه وهو الحجر الأسود ، وجعله عبادة خاصة في هذا المكان ، فمن قبل الأحجار والقبور ، والجدران والستور ، ولو كانت أحجار الكعبة ، أو القبر الشريف ، أو جدار حجرته أو ستورهما ، أو صخرة بيت المقدس ، فقد خرج عن هذا التشريع وابتدع في الدين ما ليس منه ، فإن التقبيل والاستلام ولو بالإشارة ونحوها تعظيم ، والتعظيم خاص بالله ، فلا يجوز إلا فيما أذن فيه ، ومن ذلك ما يقع في حفلة المحمل التي أحدثتها شجرة الدر من تقبيل مقود الجمل ، واستلام الجمل بالإشارة لمن لم يقدر على لمسه تبركاً بهما ، وتشبهاً باستلام الحجر الأسود وتقبيله .

وكما خص البيت الحرام بالطواف وعرفات بالوقوف ، والحجر الأسود بالتقبيل : خص مواضع أخرى هناك بصور من العبادات لا توجد في غيرها ، وقد كان كل هذا من آيات التعظيم الخاص لبيت الله ، وما يتصل به من آثار الاصطفاء والاختيار .

وكما اصطفى الله من الناس ، وجعل لمن اصطفى أحكاماً خاصة ، واصطفى من الأمكنة وجعل لما اصطفى أحكاماً خاصة ؛ اصطفى من الأزمنة وجعل لما اصطفاه منها أحكاماً خاصة

اصطفى منها مواسم لرحمته ، وأياماً وليالي لنعمه وإفضاله ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ ، هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾

﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ ﴿ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً ﴾ ثم بعد هذا أفرغ على أربعة أشهر من أشهر السنة صيانة التحريم والتقديس ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَواتِ وَالْأَرْضِ ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُم ، ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ .

وقد أجمع العلماء أخذاً من بيان الرسول ﷺ على أن هذه الأشهر الأربعة هي ذو القعدة وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب ، ثلاثة متتابعة وواحد فرد ، وأن تحريمها كما يدل عليه القرآن الكريم شرع قديم تناقلته الأجيال وتوارثه العرب ، ولقد عظمت حرمتها في نفوسهم إلى درجة أن يلقى الرجل فيها قاتل أبيه فلا يتعرض له بسوء ، وأجمعوا على أن حرمتها ترجع إلى أن الطاعة فيها أشد تأثيراً في القرب إلى الله من الطاعة في غيرها ، وأن المعصية وظلم النفس فيها أشد تأثيراً في البعد عن الله من المعصية في غيرها ، ولعل الحكمة في تحريمها هو العمل من الشرع الحكيم على تخفيف الطغيان الإنساني مدة تكفي - بحسب العادة - لتدريب النفس على الفضائل ومجانبة الرذائل ، فإن الله - وهو العليم بخلقه - يعلم أن التنافس والتعارض في الرغبات والشهوات مما طبع عليه الإنسان ، وهو بذلك دائماً نزاعٌ للخصومات والتقاتل ، فأراد سبحانه بتحريم هذه الأشهر توجيه عباده إلى الخير ، وصرفهم عن الشر مدة من السنة بعامل شعور ديني ، فيريحون أنفسهم من عناء الخصومات وشر التقاتل ، وأعلمهم بحرمتها وتزكو نفسه ، ويصل ما انقطع بينه وبين ربه ، ويصلح ما فسد بينه وبين الناس ، ولو أن الناس تنبهوا لهذا التشريع الحكيم لما اتصلت حروب ، ولا دامت خصومات ، ولَتَخَذُوا من هذه الأشهر هدنة إلهية يعاونهم فيها التوفيق الإلهي ، على إنهاء ما بينهم من حروب وإراقة دماء وتخريب عامر ، فيعود إليهم الأمن والاستقرار ، وتأخذ السعادة طريقها إلى النمو والكمال ، ولكن طغت عليهم الشهوات والأهواء ، فأنستهم إرشاد الله وتعليمه فاندفعوا يظلمون ويستعبدون ، ويتحاربون ويخربون ، وقديماً تصرف أهل الجاهلية في الأشهر الحرم وحكموا فيها أهواءهم ، ونقلوا حرمتها إلى غيرها ، احتيالاً في الخروج عن أحكام الله فقضى الله عليهم بأنه كفر ، وأعلمهم أن التحريم ليس مرتبطاً باسم الشهر ولا بالعدد ، وإنما هو مرتبط بذوات الأشهر ونفس أيامها سميت بأسمائها أم سميت بغيرها ، وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّما النَّسِيءُ زِيادَةٌ فِي الكُفْرِ يُضَلَّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ، يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللهُ ، زُيِّنَ لَهُم سُوءُ عَمَلِهِم وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الكَافِرِين ﴾ .

وإذا كان هذا فيمن اعترف بالحرمة في جملتها ونقلها إلى أشهر أخر ، فما بالنا بمن ألغوا في حياتهم حرمتها ولم يرتدعوا في شهر ما باسم التحريم الإلهي عن اقتراف الذنوب والمعاصي ؟ إني أخشى أن أقول : إنهم أشد كفراً وأبعد عن هؤلاء في الشعور بأحكام الله فيها .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ،،،

منـــزلـــة الصـــوم مـــن الإســـلام

لفضيلة الشيخ / محمود شلتوت شيخ الأزهر رحمه الله

❋ حاجة الإنسان إلى الدين :

قضت الحكمة الإلهية أن تكتنف الإنسان في الخلق والتكوين قوة تدفعه إلى إدراك الحق وتنير له سبل الخير وتحببه فيه وتدعوه إليه ، والإنسان من هذا الجانب يقترب من الملإ الأعلى الذي صفا طبعه وخلص جوهره من شوائب المادة المظلمة وصار خيرًا كله : { إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون } [الأعراف : ٢٠٦] .

وقوة تسد عليه منافذ الحق والجمال فيضطرب في حمأة من الجهل وتستأثر به الشهوات والأهواء ويملكه حب الكيد والانتقام ؛ والإنسان من هذا الجانب يقترب من الملإ الأدنى الذي خبث طبعه وفُطِر على الشر والإغواء والإضلال والإفساد : { رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين ❋ إلا عبادك منهم المخلصين } [الحجر : ٣٩، ٤٠] .

هكذا وقع الإنسان بين هاتين القوتين اللتين لا بد من أصلهما في هذه الحياة ؛ حياة العمل ، حياة الهدم والبناء .

ولكي يقوى في الإنسان جانب الخير ويظهر في العالم جمال الحق وجلاله ؛ قضت الحكمة الإلهية أن تشد أزره في تنظيم الانتفاع بقوة الشر ، فمنحته مددًا ينظمها ذلك المدد هو هدي الله ، يتزل به الوحي من السماء على صفوة خلقه ليبلغوه ويدعوا إليه : { فإما يأتينكم مِّني هدًى فمن اتَّبع هُداي فلا يضل ولا يشقى ❋ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشةً ضنكًا ونحشره يوم القيامة أعمى } [طه : ١٢٣، ١٢٤] .

ذلكم الهَدْى هو دين الله الذي رسمه لعباده وأنزله في كل كتبه ، ودعت إليه كل رسله : { قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أُنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون } [آل عمران : ٨٤] ، هو دين الإسلام الذي لا دين عند الله سواه : { ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل

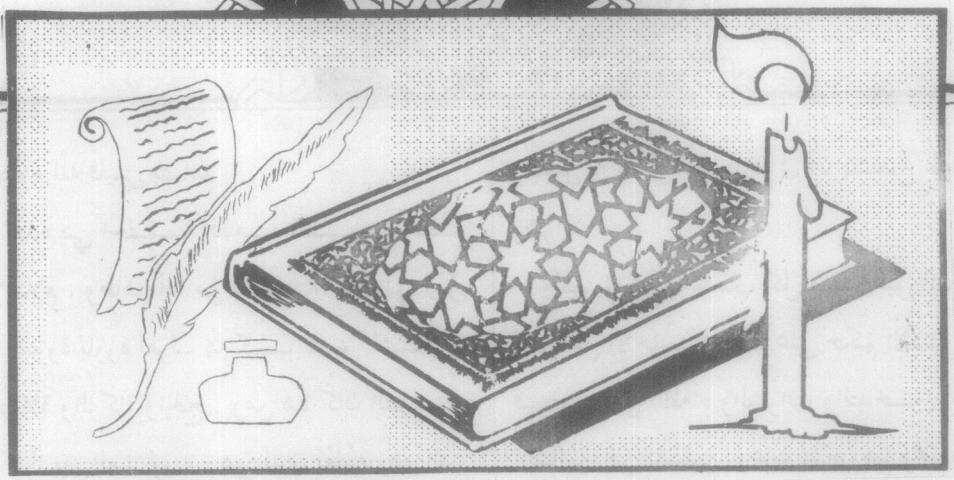

منه وهو في الآخرة من الخاسرين } [آل عمران : ٨٥] .

● عناصر الدين :

يتكون هذا الدين أو هذا المدد الإلهي من عناصر أو وحدات ترجع إلى ما يزكي القلب بمعرفة الحق والإيمان به ، وإلى ما ينمي هذه التزكية بتهذيب النفس وترقية الشعور وتصفية الروح وإثارة الوجدان نحو الخير والفضيلة ، وهذه العناصر أو هذه الوحدات هي المعروفة في لسان الإسلام بأركان الدين : " بني الإسلام على خمس " . وهذه الخمس هي : شهادة التوحيد والرسالة ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، والصيام .

ولكل وحدة من هذه الوحدات معنى يتوقف وجودها في الإنسان على تحققه وأدب لا ينتفع الإنسان بها في مقاومة الشر والقرب من الملأ الأعلى إلا إذا توخاه وحافظ عليه فيها ، وقد آثرنا بمناسبة شهر رمضان الذي فرض الله صومه أن نتحدث إلى قراء (التوحيد) عن وحدة من هذه الوحدات الخمس هي : الصوم في الإسلام .

● الصوم عبادة قديمة :

إن الصوم شأن عرفه الإنسان من قديم الزمان ، عرفه المتدينون وسيلة من وسائل التقرب إلى الله ، وعرفه الوثنيون طريقًا من طرق التهذيب والرياضة ، وهو بعد ليس خاصًا بطائفة دون طائفة ، ولا برسالة دون رسالة ، وإنما هو شأن فطري يشعر بالحاجة إليه في فترات متتابعة أو متفرقة كل كائن حي ، وإن اختلفت صوره وأوقاته باختلاف العصور والأمم .

● حقيقة الصوم في الإسلام :

والصوم في الإسلام هو الإمساك عن الطعام والشراب والملابسة الجنسية إيمانًا واحتسابًا لله من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، وهذه حقيقته وشرطه ووقته ، وقد دل على ذلك قوله تعالى : { فالآن باشروهنّ وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر } [البقرة : ١٨٧] ، فمن أكل أو شرب أو لابس عامدًا فليس بصائم ، ومن أمسك عن هذه الأشياء سهوًا عنها أو حمية لمرض أو اشتغالاً بأمر هام دون نية

الصوم لله فليس بصائم .

هذه هي الحقيقة العامة للصوم في نظر الإسلام ، وظاهر أنها من الشئون الخفية التي ليس لها صورة بارزة تُعرف بها كما هو الشأن في الصلاة والزكاة والحج ، ومن هنا كان الصوم سرًّا بين العبد وربه ، هو الذي يَعْلَمُه وهو الذي يحاسِب عليه ، ولذلك خصه الله بالإضافة إليه ، وإن كانت كل العبادات إليه ، وقد جاءت أحاديث كثيرة ترغب فيه وتدعو إليه وتصف ما أعده الله للصائمين من الأجر العظيم .

يقول الله تعالى فيما يرويه عنه نبيه صلى الله عليه وسلم : ((كل حسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، إلاّ الصوم فإنه لي وأنا أجزي به)) ، ((إنما يدع طعامه وشرابه وشهوته لأجلي)) .

وإذا كان هذا هو وضع الصوم في نظر الإسلام ، وتلك مكانة الصائم عند ربه ، فليس من المقبول عند الله أن يكون الصائم وقد دخل في حظيرة القدس الإلهي ، وأسلم نفسه إلى عالِم السر والنجوى متناقضًا مع نفسه وناقضًا لعهده ؛ فيكون فحاشًا ، أو نمامًا ، أو كذابًا ، أو مغتابًا ، أو منتهكًا للحرمات ، أو مستلبًا للحقوق ، أو أكّالاً للسحت ، أو سماعًا للكذب ، أو مجاملاً للسفهاء ، أو معضدًا للظالمين ، أو ممكنًا للعابثين المفسدين : ((من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)) .

وكم يؤسفني ويؤسف كل مُسْلم غيور أن نرى كثيرًا من الأجانب يتزلون على حكم الأدب العام فيمتنعون عن الطعام والشراب والتدخين أمام الصائمين من المسلمين رعاية لشعورهم ومجاملة لهم في دينهم ، بينما نرى كثيرًا من المسلمين أنفسهم في الشوارع ، في مركبات الترام ، في المقاهي والأندية ، في المكاتب الحكومية ، في كل مكان عام ينتهكون حرمة الشهر ، ويجرحون الشعور الإسلامي في مظهر الوحدة الدينية ، ويتبجحون باسم الحرية المكذوبة ، فيجاهرون بالإفطار على ملإ من الناس مستهينين بالدين ، مستهينين بالشعور العام ، مستهينين بالآداب : { أولئك هم شر البرية } [البينة : ٦] .

● حكمة الصوم :

فرض الله على المؤمنين صوم شهر رمضان من كل عام ليتخذوا منه سبيلاً للتحلي بخلق المراقبة وخلق الصبر ، فتصدق نيتهم وتقوى عزيمتهم ويثبتوا لحوادث الدهر وما يعترضهم من عقبات في الحياة ، ففي الحياة نوازع الشهوة والهوى ، وفي الحياة دوافع الغضب والانتقام ، وفي الحياة التقلب بين النعماء والضراء ، فيها الفقر بعد الغنى ، والمرض بعد الصحة ، والضعف بعد القوة ، فيها النزوح عن الأوطان ومفارقة الأهل

والإخوان ، فيها الجهاد في سبيل الله ، ثم في سبيل الذود عن الحمى والكرامة ، فيها كثير من الخطوب والمشاق التي تعترض الإنسان ، فما أحوجه إلى أن يتذرع بخلق الصبر ليثبت ويحتمل ، وما أحوجه إلى أن يتسلح بسلاح المراقبة والرجوع إلى الله ، وتمثل عظمته ليدفع عن نفسه ويذود عن كيانه ، لهذا كله فرض الله صوم رمضان شهرًا متتابعة أيامه ، ليغرس بهذا التتابع ملكة الصبر والمراقبة وجعله في كل عام ليتكرر الدرس وينمو الغرس .

وللمحافظة على آثار الصوم في النفس وجب على الصائم أن يستمر في كل ليلة من ليالي هذا الشهر متدرعًا بالصبر متسلحًا بالمراقبة ، فلا يسرف فيما كان محظورًا عليه بصومه من طعام أو شراب أو لهو أو متاع ، وإلا انطفأ عليه مصباح الإشراق القلبي الذي أحسه في نهاره ، وانسدت عليه سبل التقوى وانقطع عنه التتابع الروحي والتهذيب النفسي ؛ فيعود إلى طغيانه وشره . ولا يجني من صومه - كما قال الرسول عليه السلام -: " إلا الجوع والعطش " . ويكون بمثابة من يهدم بيساره ما بناه بيمينه .

إذا صام الناس على هذا الوجه تحققت فيهم حكمة الله في التعبد بالصوم ، وكان صومهم كما أراد الله مددًا قويًا لجند الخير في الإنسان ، به يزكو قلبه وتصفو نفسه وتتهذب روحه ، ويصير منبعًا فياضًا للخير على نفسه وعلى بني جنسه ، ويعيش عيشة راضية سُداها المحبة والوئام ، ولُحْمَتُها التعاون والسلام ، وبهذا يقترب الإنسان من الملإ الأعلى ويتلقى الشرائع الإلهية والواجبات الاجتماعية بقوة لا تعرف الضعف ، وثبات لا يعرف الملل ، وإخلاص لا يعرف الرياء ، وإيمان لا يعرف الشك ، فتطيب الحياة ، ويسعد الإنسان .

أيها المسلمون هذه أمانة الله لديكم ووسيلة تربيته لكم ، فأدوها كما أمركم ، وكما رسم لكم : { يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون } [الأنفال : ٢٧] .

{ يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون } [البقرة : ١٨٣] .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

إعتذار

نعتذر عن عدم ظهور الأبواب الثابتة هذا الشهر ، نظرًا لخصوصية شهر رمضان المبارك وستوالي النشر تباعًا ابتداءً من عدد شوال القادم بإذن الله ، وكل عام وأنتم بخير .

هيئة التحرير

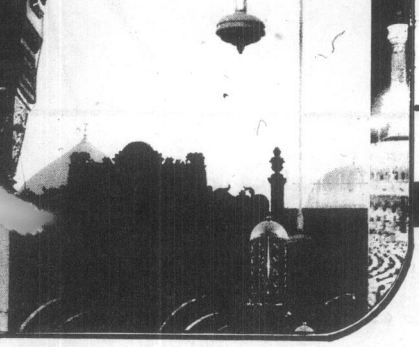

لفضيلة الإمام الأكبر / محمود شلتوت
شيخ الأزهر رحمه الله

الحج المبرور

ليس له جزاء إلا الجنة

أيها المسلمون :

إن القرآن الذي أنزله اللَّه على نبيكم محمد صلى اللَّه عليه وسلم ، فأخرج به الناس من الظلمات إلى النور ، وأرشدهم به إلى سبل السعادة والحياة الطيبة ، جعل اللَّه لنزوله عبادتين تتكرران بتكرر السنين والأعوام ، تذكرون فيهما نعمة اللَّه عليكم ، وتشكرونه على ما هداكم به من الإيمان : عبادة الصوم ؛ بالنظر إلى الشهر الذي نزل فيه ، وهو رمضان ، وعبادة الحج ، بالنظر إلى المكان الذي نزل فيه وهو مكة ، وكما جعل الصوم - لذلك - ركنًا من أركان الدين ؛ جعل الحج ركنًا من أركان الدين .

والحج هو زيارة بيت اللَّه الحرام ، وقد فرضه اللَّه على المسلمين بشرط القدرة والأمن على الطريق : ﴿ وللَّه على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن اللَّه غني عن العالمين ﴾ [آل عمران : ٩٧] .

فرض اللَّه الحج وجعله في مكان واحد ، وزمان واحد ، يجتمع فيه المسلمون من كافة الأقطار ، بنداء واحد ، وتلبية واحدة ، وأمنية واحدة ، إخوانًا في اللَّه رحماء بينهم ؛ يتعارفون ويتناصحون ويتعاونون ؛ فتتحد كلمتهم وتقوى شوكتهم ، ويعظم شأنهم في أعين الخصوم المناوئين : ﴿ وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامرٍ يأتين من كل فج عميق ۞ ليشهدوا منافع لهم ﴾ [الحج : ٢٨،٢٧] .

فرضه وخصه بمكة المكرمة التي أوجد فيها أول بيت وضع للناس : ﴿ مباركًا وهدى للعالمين ۞ فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنًا ﴾ [آل عمران : ٩٧،٩٦] تذكيرًا **بنعمة الإسلام الذي انبثق من تلك** الأماكن ، فطبق الآفاق واهتدى بنوره أهل المشرق والمغرب ، فكان خير مرشد وأعظم منقذ ، أخرج الناس من الظلمات إلى

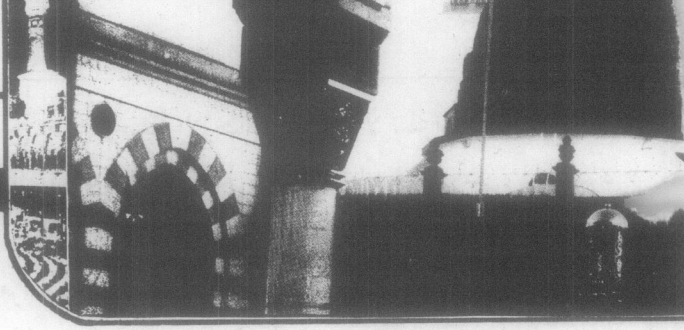

النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد .

فرضه اللّه وخصه بالأشهر التالية لرمضان لتتلاحق الذكريات : ذكرى المكان بذكرى الزمان ، فيشتد تعلق القلب بما له الذكرى وهو القرآن ، فتتطبع النفوس في بقية السنة على شرائعه وإرشاده ، فلا تحيد عنه ولا تميل إلى سواه ، وليكون اتجاه المسلمين إلى بارئهم بزيارة بيته الحرام ودخولهم في حظيرة قدسه عقب التصفية الرياضية التي اكتسبوها من الصوم في شهر رمضان ، فيكون ذلك أدعى للقبول وأقرب إلى الإجابة .

فرضه وحدد ميقاته وبيّن آدابه وشرح مناسكه ، ووعد عليه بعظيم الثواب : ﴿ الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه اللّه وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب ﴾ [البقرة : ١٩٧] .

هذا هو مكان الحج من دينكم أيها المسلمون ، وهذا هو سر افتراضه عليكم .

فبادروا أيها المستطيعون إلى أداء فريضة الحج ، واعلموا أن ما تنفقونه في سبيله يُوفّ إليكم وأنتم لا تظلمون .

حققوا دعوة أبيكم إبراهيم : ﴿ ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾ [إبراهيم : ٣٧] .

سافروا إلى الأقطار الحجازية ، وأدوا فريضة الحج يؤتكم ربكم كفلين من رحمته ؛ كفل لأداء فريضة الحج ، وكفل لتفريج كرب المسلمين .

أيها المسلمون ؛ إن اللّه سبحانه وتعالى عَلّق فلاح الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة على فعل الخير والدعوة إلى الخير ، قال تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ [آل عمران : ١٠٤] ، وقال تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تُفلحون ﴾ [الحج : ٧٧] ، والخير اسم لكل ما يرضاه اللّه ويكون نافعًا في الدين أو الدنيا أو فيهما .

ألا وإن طرق الخير كثيرة لا تكاد تحصى ، وقد رغب اللّه في سلوكها ، وأوصى بها ، ووعد اللّه عليها جميعها في كتابه العزيز عظيم فضله وجزيل مثوبته ، فقال : ﴿ وما تفعلوا من خير يعلمه اللّه ﴾ [البقرة : ١٩٧] ، وقال : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيرًا يرهُ ﴾ [الزلزلة : ٧] ، وقال : ﴿ من عمل صالحًا فلنفسه ﴾ [فصلت : ٤٦] ،

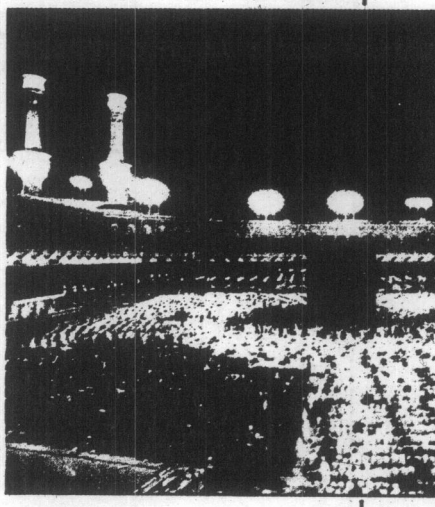

وقال : ﴿ من عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ [النحل : ٩٧] .

ولكن طرق الخير على كثرتها واستتباعها لعظيم الأجر ليست في درجة واحدة ، بل تتفاوت منزلتها عند اللّه بتفاوتها في عموم النفع وخصوصه ، وسهولة العمل ومشقته ، فما عم نفعه وعظمت مشقته ارتفعت منزلته وسمت مكانته ، فالصلاة خير ، والصوم خير ، والزكاة خير ، والأمر بالمعروف خير ، والنهي عن المنكر خير ، وإماطة الأذى عن الطريق خير ، والتسبيح خير ، وصلة الأرحام خير ، والصلح بين الناس خير ، وهكذا إلى آخر ما فيه نفع للناس وكان مرضيًا عند اللّه ، ولكن أمرًا واحدًا جمع أنواعًا من النفع تفرقت في غيره ، ومجموعة من البر لم تجتمع في غيره وهو حج بيت اللّه الحرام ، ففيه إنفاق المال ابتغاء مرضات اللّه وفي سبيل اللّه ، وفيه إجهاد البدن في وعثاء السفر ؛ ومشقة مفارقة الأهل والوطن للقيام بواجب شكر اللّه المنعم عند بيته المحرم ، وفيه إشهاد المرء على نفسه إشهادًا عامًا يحضره الألوف من إخوانه المسلمين في صحراء جرداء ليس فيها للنفس متعة ؛ بأنه العبد ، واللّه هو المعبود ، وأنه العاجز ، واللّه هو القوي ، وأنه الفقير ، واللّه هو الغني ، وأنه السائل ، واللّه هو المسئول ، وأنه المستعين ، واللّه هو المستعان . رب الحمد والنعمة لا إله إلا هو الغني الحميد .

إن من امتلأ قلبه بهذا الموقف وعرف به عزة اللّه وذلة العبد صفا قلبه ، وسمت روحه ، وطابت للخير نفسه . فلا يعرف الشر ولا تقترب النقيصة منه . ورأى اللّه في كل شيء في عسره ويسره ؛ في صحته ومرضه ؛ في غناه وفقره ؛ قد أسلم نفسه للّه : ﴿ ومن يسلم وجهه إلى اللّه وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ [لقمان : ٢٢] ، ولهذه الاعتبارات كان الحج من أسمى معاني الخير ، وقد جاء تأييدًا لهذا المعنى وكشفًا عن منزلة الحج عند اللّه قول النبي صلى اللّه عليه وسلم : « الحاج في ضمان اللّه مقبلا ومدبرًا »[1] . وتلك منزلة لم نرها لغير الحاج ، وقول النبي صلى اللّه عليه وسلم : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه »[2] . وقوله صلى اللّه عليه وسلم : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » . وعن عائشة ، رضي اللّه عنها ، قالت : (قلت : يا رسول اللّه نرى الجهاد أفضل العمل ، أفلا

---

(١) « ضعيف الجامع » (٢٧٤٩) .

(٢) متفق عليه .

نجاهد ؟ فقال : « لَكُنَّ أفضل الجهاد حج مبرور ») .

وقال صلى اللّه عليه وسلم : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه » . وسئل رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : أي العمل أفضل ؟ قال : « إيمان باللّه ورسوله » . قيل : ثم ماذا ؟ قال : « حج مبرور » . وعنه صلى اللّه عليه وسلم : « من فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج اللّه عنه كربة من كرب يوم القيامة » .

هذا جزاؤك يا من نويت الحج واعتزمت فعل الخير في حجك ، وهنيئًا لك سلفًا بهذا الجزاء الذي أعد لك : ﴿ في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾ [القمر : ٥٥] .

عن أبي سعيد الخدري أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال : « يقول اللّه عز وجل : إن عبدًا صححت له جسمه ووسعت عليه في المعيشة تمضي عليه خمسة أعوام لا يفد إليّ لمحروم » .

وعن أبي أمامة قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : « من لم تحبسه حاجة ظاهرة أو سلطان جائر فلم يحج فليمت إن شاء يهوديًا وإن شاء نصرانيًا » .

إشهـــــار

تشهد مديرية الشئون الاجتماعية بالشرقية بأن جمعية أنصار السنة المحمدية الكائن مقرها بناحية كفر الجراية مركز الزقازيق قد تم شهرها طبقًا لأحكام القانون رقم ٣٢ لسنة ١٩٦٤ م ، بشأن الجمعيات والمؤسسات الخاصة ، واللائحة التنفيذية لذلك القانون تحت رقم ١٠١٢ محافظة الشرقية اعتبارًا من ١٩٩٧/١/٦ م للعمل في ميدان :

١- الخدمات الثقافية والعلمية والدينية .

٢- المساعدات الاجتماعية .

تحريرًا في ١٩٩٧/١/٦ م

وكيل الوزارة

قال تعالى : ﴿ إنا أنزلناه في ليلةٍ مباركةٍ إنا كنا منذرين ۞ فيها يُفْرَق كل أمرٍ حكيمٍ ۞ أمرًا مّن عندنا إنا كنا مرسلين ۞ رحمةً مّن ربك إنه هو السميع العليم ﴾ [الدخان : ٣ – ٦] .

هذه إحدى آيات ثلاث جاءت في القرآن تتحدث عن إنزاله ، وعن الزمن الذي أُنزل فيه .

والآية الثانية هي قوله تعالى : ﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر ﴾ [القدر : ١] ، والآية الثالثة قوله تعالى : ﴿ شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

وهذه الآيات الثلاث تأكيد بأن القرآن لم يكن – كما كان يزعم منكرو الرسالة – من صنع محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنما هو من عند الله ، أنزله بعلمه وحكمته هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان . وقد وصفت الآية الأولى الليلة التي أنزل فيها بأنها : ﴿ ليلةٍ مباركةٍ ﴾ ، وهي الصفة التي وصف بها القرآن في قوله تعالى : ﴿ وهذا كتابٌ أنزلناه مباركٌ مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها ﴾ [الأنعام : ٩٢] ، وسميت في الآية الثانية بـ ﴿ ليلة القدر ﴾ ؛ وهو الشرف وعلو المكانة ، وبينت الآية الثالثة أن شهر تلك الليلة هو شهر رمضان الذي فرض الله على المؤمنين صومه تذكيرًا بنعمة إنزال القرآن وشكرًا لله عليها .

الروايات والآراء

ومع وضوح الاتساق بين الآيات الثلاث هكذا وتساندها وشد بعضها أزر بعض في تقرير أن القرآن أنزله الله على الناس في ليلة مباركة ذات قدر وشرف ، وأن رمضان هو شهر تلك الليلة ، مع وضوح هذا نرى الروايات والآراء خلقت في كتب التفسير حول هذه الآيات جوًّا اصطرعت فيه اصطراعًا أثار على الناظرين في القرآن غبارًا طمس عليهم محورها الذي تدور عليه ، وباعدت بينها في الهدف الذي ترمي إليه ، وكان من ذلك ما قيل وذاع بين الناس أن « الليلة المباركة » في الآية الأولى هي : ليلة النصف من شعبان ، وأن الأمور الحكيمة التي تفرق فيها هي الأرزاق والأعمار وسائر الأحداث الكونية التي يقدرها الله ، ثم يظهر ما يقع منها في العام للمنفذين من الملائكة الكرام !!

ويمتد الكلام إلى التفرقة بين التقدير الذي يحصل في تلك الليلة ، والتقدير الذي يروى أيضًا عن ليلة القدر ، ثم إلى الفرق بين كل من هذين التقديرين اللذين يحصلان على هاتين الليلتين « ليلة النصف ، وليلة القدر » ، وبين التقدير الأزلي لهذه الأحداث ، يمتد الكلام في الفرق بين هذه التقديرات الثلاثة بما أعتقد ، ويعتقد كل مؤمن أنه خوض في محجوب وهجوم على غيوب استأثر الله بعلمها ، ولم يرد بها نص قاطع من قِبَله .

الناس في ليلة النصف

وكان منه أيضًا اعتقاد العامة وأشباههم أن ليلة النصف من شعبان ليلة ذات مكانة خاصة عند الله ، وأن الاجتماع لإحيائها بالذكر والعبادة والدعاء والقرآن مشروع ومطلوب ، وتبع ذلك أن وضع لهم في إحيائها نظام خاص ؛ يجتمعون في المسجد عقب صلاة المغرب ، ويصلون صلاة خاصة باسم صلاة النصف من شعبان ، ثم يقرءون بصوت مرتفع سورة معينة هي سورة « يس » ، ثم يبتهلون كذلك بدعاء يعرف بدعاء ليلة النصف من شعبان ، يتلقنه بعضهم من بعض ، ويحفظونه على خلل في التلقين ، وفساد في المعنى ، ويكررونه ثلاث مرات ، إحداها بنية طول العمر ، والثانية بنية دفع البلاء ، والثالثة بنية الإغناء عن الناس .

ويعتقد العامة أن في التخلف عن المشاركة في هذا الاجتماع نذير بقصر العمر وكثرة البلاء والحاجة إلى الناس ، وينتهز بعض تجار الكتب ليلة النصف فرصة يطبعون فيها سورة « يس » مع الدعاء ، ويكلفون الصبية توزيعها في الطرقات والمركبات والمجتمعات .

دعاء نصف شعبان

فإذا كنت ممن لم يوفقوا إلى قراءة هذا الدعاء أو سماعه ، فاعلم أنهم يطلبون فيه من اللّه محو ما كتبه في أم الكتاب من الشقاوة وتبديله سعادة ، والحرمان وتبديله عطاء ، والإقتار وتبديله غنى ، ويذكرون في تبرير هذا الطلب وحيثياته أن اللّه قال في كتابه : ﴿ يمحو اللّه ما يشاء ويُثبت وعنده أم الكتاب ﴾ [الرعد : ٣٩] ، وهو تحريف واضح للكلم عن مواضعه ، فإن هذه الآية سيقت لتقرير أن اللّه ينسخ من أحكام الشرائع السابقة ما لا يتفق واستعداد الأمم اللاحقة[٣] .

وأن الأصول التي تحتاجها الإنسانية العامة كالتوحيد والبعث والرسالة وتحريم الفواحش دائمة ثابتة وهي أم الكتاب الإلهي الذي لا تغيير فيه ولا تبديل ، وإذن فلا علاقة لآية المحو والإثبات بالأحداث الكونية حتى تحشر في الدعاء ، وتذكر حيثية للرجاء .

شهر شعبان

والذي صح عن النبي صلى اللّه عليه وسلم وحفظت روايته عن أصحابه وتلقاه أهل العلم والتمحيص بالقبول إنما هو فقط فضل شهر شعبان كله ، لا فرق بين ليلة وليلة ، وقد طلب فيه على وجه عام الإكثار من العبادة وعمل الخير ، وطلب فيه الإكثار من الصوم على وجه خاص ، تدريبًا للنفس على الصوم ، وإعدادًا لاستقبال رمضان حتى لا يفجأ الناس فيه بتغيير مألوفهم ، فيشق عليهم .

وقد سُئل النبي صلى اللّه عليه وسلم : أي الصوم أفضل بعد رمضان ؟ فقال : « شعبان »[٤] لتعظيم رمضان .

وتعظيم رمضان إنما يكون بحسن استقباله والاطمئنان إليه بالتدرب عليه وعدم التبرم به ، أما خصوص ليلة النصف والاجتماع لإحيائها وصلاتها ودعاؤها ؛ فإنه لم يرد فيها شيء صحيح عن النبي صلى اللّه عليه وسلم ، ولم يعرفها أحد من أهل الصدر الأول .

رأي الشيخ محمد عبده

ويجدر بي أن أسوق هنا ما كتبه الشيخ محمد عبده عن الليلة المباركة في تفسيره « جزء عم »

قال – رحمه الله –: أما ما يقوله الكثير من الناس من أن الليلة المباركة التي يفرق فيها كل أمر حكيم هي ليلة النصف من شعبان ، وأن الأمور التي تفرق فيها هي الأرزاق والأعمار ، وكذلك ما يقولونه من مثل ذلك في ليلة القدر ، فهو من الجرأة على الكلام في الغيب بغير حجة قاطعة ، وليس من الجائز لنا أن نعتقد بشيء من ذلك ما لم يرد به خبر متواتر عن المعصوم صلى الله عليه وسلم ، ومثل ذلك لم يرد لاضطراب الروايات ، وضعف أغلبها ، وكذب الكثير منها ، ومثلها لا يصح الأخذ به في باب العقائد ، فإنه لا يجوز أن يدخل في عقائد الدين لعدم تواتر خبره عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يجوز لنا الأخذ بالظن في عقيدة مثل هذه ، وإلا كنا من الذين : ﴿ إن يتبعون إلا الظنَّ ﴾ [الأنعام : ١١٦] ، نعوذ بالله .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

---

(١) « الهدي النبوي » .

(٢) سورة « يس » معروفة ، أما دعاؤها فهو : « اللهم يا ذا المن ولا يمن عليه ، يا ذا الجلال والإنعام ، لا إله إلا أنت ظهر اللاجئين ، وجار المستجيرين ، وأمان الخائفين ، اللهم إن كنت كتبتني عندك في أم الكتاب شقيًا أو محرومًا أو مطرودًا أو مقترًا عليَّ في الرزق ، فامح اللهم بفضلك شقاوتي وحرماني وطردي وإقتار رزقي ، واثبتني عندك في أم الكتاب سعيدًا مرزوقًا موفقًا للخيرات ، فإنك قلت وقولك الحق في كتابك المنزل على لسان نبيك المرسل : ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ﴾ [الرعد : ٣٩] » . إلخ .

(٣) أي : يمحو من شريعة موسى ، عليه السلام ، ما يشاء ، ويثبت في شريعة عيسى ، عليه السلام ، وكذلك يمحو من شريعة عيسى ، عليه السلام ، ما يشاء ، ويثبت في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ما يشاء ، وهكذا حسب ما تقتضيه سنة الله في تغيير أحوال البشرية وتطورها ، ينسخ الله منها ما يستحق نسخه ويلزم محوه ، وثبت ما تقتضيه حكمته ، ويقتضيه عدله .

(٤) ضعيف سنن الترمذي (١٠٤) .

محافظة القاهرة
إدارة المرج الاجتماعية
إدارة الجمعيات

إشهار

بعد الاطلاع على القانون رقم ٣٢ لسنة ١٩٦٤ بشأن الجمعيات والمؤسسات الخاصة ، وعلى موافقة مديرية الشئون الاجتماعية (إدارة الجمعيات) : تقرر شهر جمعية أنصار السنة المحمدية بالمرج تحت رقم ٤٤٦٥ ، بتاريخ ١٩٩٧/١٠/٢٢ .

مدير إدارة الجمعيات

الموالد للموتى .. ووضع الشمع والمناديل على مقاماتهم

وجه إلى فضيلته السؤال الآتي :

ما حكم الدين في إقامة الموالد للمشايخ ، ووضع الشمع والمناديل على مقاماتهم ؟

فأجاب : وفقنا اللّه وإياكم لما يحبه ويرضاه ، ونفع الناس بقول الحق . الحمد اللّه وحده ، والصلاة والسلام على خاتم رسله محمد وعلى آله وصحبه .

الموالد : هي هذه الحفلات الصاخبة ، أو المجتمعات السوقية العامة ، التي ابتدعها المسلمون في عهودهم المتأخرة باسم تكريم الأولياء وإعلاء قدرهم ومكانتهم ، عن طريق تقديم القرابين ، وذبح النذور ، وإقامة حلقات الذكر ، وعن طريق الخطب ، والقصص ، والمناقب ، والأناشيد ، التي تصور حياة الولي ، وتصف تنقله في معارج الولاية ، وما يتحدث به الناس عنه ، ويضاف إليه من كشف وخوارق وكرامات .

تقام تلك الحفلات لأولياء المدن ، ولكثير من أولياء القرى ، وقد تقام حفلة الميلاد في السنة الواحدة للولي الواحد مرتين فأكثر ، ولهذه الموالد على العموم عشاق يضعونها في مصاف الشئون الدينية التي يتقربون بها إلى اللّه عن طريق الولي ، فيحفظون تواريخها ، ويهيئون طوال العام لها ، حتى إذا ما حل وقتها تراهم يحزمون أمتعتهم ، ويرتحلون بقضهم وقضيضهم ، برجالهم ونسائهم ، بشيوخهم وشبابهم ، ويلقون - بأحمالهم كما يقولون - على شيال الحمول صاحب المولد ، تاركين بيوتهم ومصالحهم في قراهم ومزارعهم ، مدة تتراوح بين أسبوع وأسبوعين .

والمشايخ الأولياء من جهة تعلق الناس بهم والعناية بموالدهم على قيم مختلفة ودرجات متفاوتة ، فمنهم من يعظم عند الناس جاهه ، ويمتد في نظرهم سلطانه . ويتسع صدره لكل لون من ألوان الحياة ، ولكل رغبة من رغبات

الطوائف ، حتى لقد ترى حفلات المقامرين والمقامرات ، بجانب حفلات المدمنين والمدمنات ، وبجانبها حفلات الذاكرين والذاكرات ، والخليعين والخليعات ، والراقصين والراقصات ، ويجوس خلال الجميع المتسولون والمتسولات ، والنشالون والنشالات ، وكل ذلك يصنع في الموالد ، وعليه تقام ، وإليها يهرع الناس باسم الولاية وتكريم المشايخ .

ومهما قال عشاق الموالد ، والمتكسبون بها ومروجوها - من أن فيها ذكر اللَّه ، والمواعظ ، وفيها الصدقات ، وإطعام الفقراء - فإن بعض ما تراه فيها ويراه كل الناس ؛ من ألوان الفسوق ، وأنواع المخازي ، وصور التهتك ، والإسراف في المال ؛ ما يحتم على رجال الشئون الاجتماعية ، وقادة الإصلاح الخلقي والديني ، المبادرة بالعمل على إبطالها ومنعها ، ووضع حد لمخازيها ، وتطهير البلاد من وصمتها ، ولقد صارت بحق - لسكوت العلماء عنها ، ومشاركة رجال الحكم فيها - مباءة عامة تنتهك فيها الحرمات ، وتراق في جوانبها دماء الأعراض ، وتمسخ فيها وجوه العبادة ، وتستباح البدع والمنكرات ، ولا يقف فيها أرباب الدعارة عند مظهر أو مظهرين من مظاهر الدعارة العامة ، وإنما يبتكرون ويبتدعون ما شاء لهم الهوى من صور الدعارة المقوضة للخلق والفضيلة .

ومن أشد ما يؤلم المؤمن ؛ أن ترى كثيرًا من تلك المناظر الداعرة تُطوِّق في المدن معاهد العلم والدين ، ومساجد العبادة والتقوى ، على مسمع ومرأى من رجال الحكم ورجال الدين ، أرباب الدعوة والإرشاد .

أما وضع الشمع والمناديل على مقامات الأولياء وكسوتها ، فينبغي أن يعرف - أولاً - أن الدين الحق لا يعرف شيئًا يقال له : (مقامات الأولياء) ، سوى ما يكون للمؤمنين المتقين عند ربهم من درجات ، وإنما يعرف - كما يعرف الناس - أن لهم قبورًا ، وأن قبورهم كقبور سائر موتى المسلمين ، يحرم تشييدها وزخرفتها ، وإقامة المقاصير عليها ، وتحرم الصلاة فيها وإليها وعندها ، وبناء المساجد من أجلها ، والطواف بها ، ومناجاة من فيها ، والتمسح بجدرانها ، وتقبيلها والتعلق بها ، ويحرم وضع أستار وعمائم عليها ، ويحرم إيقاد شموع ، أو ثريات حولها ، وكل ذلك مما نرى ويتهافت الناس عليه ويتسابقون في فعله على أنه قربة للَّه ، أو تكريم للولي ، أو قربة للَّه وطاعة ، خروج عن حدود الدين ، ورجوع إلى ما كان عليه أهل الجاهلية الأولى ، وارتكاب لما حرمه اللَّه ورسوله في العقيدة والعمل ، وإضاعة للأموال في غير فائدة ، بل في سبيل الشيطان ، وسبيل للتغرير بأرباب العقول الضعيفة ، واحتيال على سلب الأموال بالباطل .

أما بعد ؛ فهذا هو حكم الدين في الموالد ، وهذا هو حكمه فيما يصنع بمقامات الأولياء ، فمتى يتنبه المسلمون ويعودون إلى الهدي الحق ؟ ويتقربون إلى اللَّه بما يرضاه اللَّه بما شرعه على لسان رسوله صلى اللَّه عليه وسلم ، وتقرب به إليه أولياؤه ، الذين آمنوا وكانوا يتقون . و((خير الهدي هدي محمد صلى اللَّه عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها)) .

والسلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته .

بدع الجنازات والمآتم

بقلم فضيلة الأستاذ الإمام الأكبر الشيخ

محمود شلتوت

شيخ الأزهر الأسبق

- رحمه الله -

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

تمر بالناس فترات، ينسون فيها آداب دينهم وأحكام شرعهم، وتميل نفوسهم تبعًا للشهوات والأهواء، أن تلتزم مظاهر خاصة، وتشتهر هذه المظاهر عنهم، وتسري إلى غيرهم، وتصير بعد ذلك، عادات عامة وتقاليد تغشى القرى والمدن، وتصير في أذهان كثير من الناس، أمورًا مطلوبة، يلحق النقص أعمالهم إذا لم تكن موجودة.

ومن هنا حدثت بدع ومنكرات في الجنازات والمآتم والأفراح في سائر أنحاء المجتمعات وصار الحكم على المجتمع بالتقدم والتأخر معقودًا بما لهذه المظاهر من آثار سيئة أو آثار حسنة، وقد تغشى في بلادنا كثير من المظاهر، اعتادها الناس في مآتمهم، وهي مما يمقتها الشرع ويأباها الخلق الكريم، وقد تمسكوا بها، حتى ظن كثير من العامة والأجانب الذين لا يفهمون حقيقة الإسلام، أنها من الشئون التي يطلبها الشرع ويقرها الدين، وبذلك ألصقوا بالدين ما ليس منه، وصوروه أمام الناقدين بصورة تسعفهم بأشد وجوه النقد والتجريح.

وإنه ليجب على علماء الدين أن يبينوا للناس حكم الدين في هذه البدع وتلك التقاليد، كما يجب على جهات التنفيذ ذات الشأن في تلك العادات، أن تعمل على تطهير البلاد من هذه العادات السيئة، فتريح الناس من مساوئها وتغسل عنهم أدرانها، وتزيل في الوقت نفسه عن الدين وصمة ألحقها به جهل العامة، ومسايرة الخاصة لهم فيما يحدثون من بدع وعادات سيئة.

ونبادر نحن الآن ببيان حكم الإسلام في أشهر ما اعتاده الناس في الجنائز والمآتم من حين الوفاة إلى آخر ما هو معروف بأيام التعزية:

الحكمة في تشييع الجنازة

وينبغي أن يعرف أولاً أن الغرض من تشييع الجنازة، هو الاتعاظ بالموت، واستحضار جلاله، فيقضي على غطرسة النفوس الجامحة التي يأخذها الغرور فتهتك الحرمات، وتعبث بالحقوق، وتستهين بالحياة، وقد شرع الإسلام تشييع الجنازة وحث عليه، وحبب فيه، وجعل به وعليه الأجر العظيم، لتلك الحكمة السامية، حكمة الاتعاظ، ومما جاء في ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «عودوا المرضى، واتبعوا الجنائز تذكركم الآخرة» (البخاري في الأدب المفرد ٥١٨)(١).

وفي تذكر الآخرة التي يجد فيها كل امرئ ما قدمت يداه، ما يقتلع من النفوس طغيانها، ويردها إلى قسطها العادل في هذه الحياة، وتحصيلاً لهذه الحكمة على الوجه الأبلغ، طلب الشارع الصمت من المشيعين حتى تخلص العظة، وتتمكن الذكرى من القلوب.

حرمة رفع الصوت بالذكر:

وبهذا الأصل حرم رفع الصوت في تشييع الجنازة ولو بالذكر وقراءة القرآن، وطلب الاستغفار للميت.

ومما جاء في هذا أن أحد المشيعين لجنازةٍ على عهد أصحاب رسول الله رفع صوته بقوله: استغفروا للميت، فقال له الأصحاب: لا غفر الله لك.

وإذا كان طلب الاستغفار وهو دعاء من الحاضرين للميت، وهو في ذاته عبادة، بهذه المثابة من الإنكار واستحقاق صاحبه المقت والتشنيع والدعاء عليه إذا صدر منه في تشييع الجنازة، فما بالنا بالصياح، والندب، والنياحة، وعزف الموسيقى ذات النغمات المحزنة!!

إن هذه المظاهر فضلاً عن أنها تحول دون التذكر والاتعاظ المقصودين من تشييع الجنازة، تثير الأحزان وتبعث الأسى، وتخلع القلوب، وتأخذ بها إلى غير جهة العظة والاعتبار، وتصرفها عن جميل الصبر ومظاهر الرضا بقضاء الله.

على النائحة سربال من قطران:

ومن هنا أجمع الفقهاء على حرمة هذه الظواهر تحريمًا قاطعًا لا شك فيه، وقد ورد فيها من التحذير والوعيد ما يجدر بالمسلم أن يرتدع به، ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها، تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب» (مسلم ٢٢٠٣). والمراد بهذا التصوير ردع النفوس عن ملابسة هذه الظواهر، وقوله صلى الله عليه وسلم: «ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوة الجاهلية» (الترمذي ٩٩٩) (٢).

وقد جاء صريح التبري من فاعل هذه الظواهر في حديث أبي موسى الأشعري: «أنا بريء ممن برئ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم برئ من الصالقة، والحالقة، والشاقة» (البخاري ١٢٩٦).

والصالقة: هي التي ترفع صوتها بالندب والنياح، والحالقة: هي التي تحلق رأسها عند المصيبة، والشاقة: هي التي تشق ثوبها زيادة في الهلع.

المشرع الإنساني:

وقد أدرك المشرع الإنساني ما في هذه المظاهر من تكدير وإيلام، وقدر ما فيها من تكدير راحة السكان، فنص في قانون العقوبات على عقوبة من يرتكب هذه المظاهر

> الغرض من تشييع الجنازة، هو الاتعاظ بالموت، واستحضار جلاله، فيقضي على غطرسة النفوس الجامحة التي يأخذها الغرور فتهتك الحرمات، وتعبث بالحقوق، وتستهين بالحياة، وقد شرع الإسلام تشييع الجنازة وحث عليه، وحبب فيه، وجعل به وعليه الأجر العظيم، لتلك الحكمة السامية، حكمة الاتعاظ

في الجنازات، وليس من ريب أن تكدير راحة السكان جهة أخرى يأباها الإسلام، ويحرص جد الحرص على وقاية المجتمع منها.

عمر رضي الله عنه والنائحة:

وقد كان من سياسة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مثل هذا أنه سمع ذات مرة بكاء، فدخل مكان الصوت بدرته الميمونة على الحاضرين ضربًا حتى بلغ النائحة، فضربها حتى سقط خمارها، وقال لمن معه: اضرب فإنها نائحة ولا حرمة لها، إنها لا تبكي لشجوكم، إنها تريق دموعها على أخذ دراهمكم، إنها تؤذي موتاكم في قبوركم، وأحياءكم في دورهم، إنها تنهى عن الصبر وقد أمر الله به، وتأمر بالجزع وقد نهى الله عنه.

إلى المشرع العربي الذي التحف الإسلام من أول عهده:

وإذا كنا نحس من ظواهر المآتم والجنازات الشائعة عندنا هذه الآثار السيئة، الجزع ومضاعفة الحزن وتكدير صفو الحي، وإضاعة المال في غير نافع، وكلها عوامل تفت في عضد الأمة، وتحول بينها وبين الحياة الحازمة الشريفة، فجدير بالمشرّع العربي، وهو أقرب المشرّعين صلة بالروح الدينية الخلقية أن يتأسى بعمر بن الخطاب، ويرعى هذه الشئون بتشريع حازم حكيم، عملاً بمبادئ الإسلام، وتحقيقًا لمظاهر الخلق الكريم، وكذلك جدير بسلطة التنفيذ العربية وهي أقرب سلطات التنفيذ صلة بالروح الدينية الخلقية أن تهيمن هيمنة

جادة صادقة على تنفيذ ما يتخذه المشرع وقاية للمجتمع من شر هذه الظواهر.

خروج النساء في تشييع الجنازة:

وإذا كانت هذه الآثار السيئة تلازم خروج النساء في تشييع الجنازة، فضلاً عما ينحدر إليه من التوغل في مظاهر الهلع: من شق الثياب، واختلاطهن بالرجال، مكشوفات الرءوس المنقوشة، والوجوه المصبوغة بالأسود والأزرق، فإنه مما لا ريب فيه أن خروجهن في تشييع الجنازة يكون من أشد المحرمات وأسوأ العادات، وقد صح أن النبي صلى الله عليه وسلم أرجعهن في تشييع الجنازة وقال لهن: «ارجعن مأزورات غير مأجورات» (ابن ماجه ١٥٧٨). وهذا من أبلغ أنواع الزجر الدال على الحرمة والإنكار.

إقامة المأتم ومجتمع العزاء:

أما إقامة المأتم ليلة أو أكثر فقد أجمع العلماء على حرمته إذا كان على الهيئة التي نعهدها اليوم من إقامة السرادقات التي تتطلب نفقات باهظة في غير غرض صحيح، وتشتد الحرمة إذا كان في الورثة قاصرٌ يحمّل نصيبه من هذه النفقات، أو كان أهل الميت في حاجة إلى ما ينفق في هذا السبيل.

وتتضاعف شدة الحرمة إذا كان الحصول على هذه الأموال عن طريق الربا كما يفعله بعض الناس التماسًا للشهرة، وقد كانت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينصرف الناس بعد دفن الميت إلى مصالحهم، وأن يعزَّى أهل الميت حين المقابلة في الثلاثة الأيام الأولى، ولم يثبت عن مسلمي الصدر الأول أنهم جلسوا في مكان معين بقصد أن يذهب الناس إلى تعزيتهم في موتاهم.

الأسوة الحسنة الدائمة:

ومن المبادئ التي وضعها الإسلام، ولا تختلف مصلحتها بمرور الأيام، ولا بمختلف الأمكنة والأشخاص قول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ (الأحزاب:٢١).

وقد انعقد إجماع الفقهاء على كراهة ذلك الاجتماع، وفيه قال الإمام الشافعي: وأكره المآتم. وهو الجماعة وإن لم يكن لهم بكاء، فإن ذلك يجدد الحزن ويكلف المئونة.

تأتي بعد هذا وذاك تلك العادة السيئة التي ينفر منها الأدب، ويندى لها الجبين: عادة الخروج إلى المقابر والمبيت فيها، ولسنا بحاجة إلى شرح الظواهر السيئة التي تؤذي الخلق الكريم، وتزج بالأعراض إلى سوق المهانة والابتذال، وقد صح أن النبي صلى الله عليه وسلم «لعن زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج» (أبو داود ٣٢٣٦) (٣).

وقد سبق أن بعض الهيئات التنفيذية أعلنت حَظرَ المبيت في المقابر تلافيًا لهذه المخازي، ولكن لا ندري ماذا وقف أمام التنفيذ والرعاية لهذا الإعلان الكريم.

نعم: إن زيارة المقابر مشروعة، ولكن لها أدب يجب أن يُرعى، وحرمة ينبغي أن يُحافظ عليها، والمقصود منها هو الدعاء للميت، والاتعاظ بالموتى، هذا في زيارة الرجال، أما زيارة النساء، فمن الفقهاء من حَرَّمها مطلقًا للشابة والعجوز، ومنهم من أباحها للعجوز، وقال ابن الحاج من كبار المالكية: إن هذا الخلاف في نساء زمنهم، مع ما يُعلم من عادتهم في الاتباع، أما خروجهن في هذا الزمان فمعاذ الله أن يقول عالم أو من له غيرة في الدين بجواز ذلك، فإن وقعت ضرورة للخروج، فليكن ذلك على أدب الشرع من الستر، لا على ما يعلم من عادتهن الذميمة في هذا الزمان.

أما الصدقات فهي من البر، بشرط ألا تكون على الوجه الذي حظره الشارع.. كذبح الحيوانات عند خروج الجنازة، وعند وصولها إلى القبر، ففيها الرياء الذي يحبط الأعمال ويضيع ثوابها.

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الذبح عند القبور بقوله: «لا عقر في الإسلام» (أبو داود ٣٢٢٢)(٤). والسنة في الصدقة الإسرار، وتوخي المحتاجين، وذلك أرجى للخير، وأدعى إلى القبول، ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (البقرة:٢٧١).

والحمد لله رب العالمين.

١- صححه الألباني. ٢- صححه الألباني.
٣- ضعفه الألباني. ٤- صححه الألباني.